الْبُعْد السّيْكُولُوجِيّ في مَجْمُوعَة "أسميتها مريم" للقاصّة الأردنيّة. سَامِرَة المُوْمَنِي

The Psychological Dimension in the Jordanian Storyteller's Group: Samerah Al-Momani "I called her Maryam"

ميّادة أنور الصعيدي[1]

Mayada Anwar Al-Saidi[2]

جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم/ السودان

Alqur'an Alkarim and Tasil Aleulum University/ Al_Sudan

melesaide@gmail.com

تاريخ الإرسال:2021/09/01 تاريخ القبول:2022/05/30 تاريخ النشر:2021/06/05

ملخّص:

أولت الباحثة اهتمامًا بالبعد السّيكولوجيّ وأبعاده النّفسيّة لشخوص قصص المومني في مجموعتها "أسميتها مريم"؛ فمن خلاله يتمّ الكشف عن عالم الشّخصيّة الداخليّ ونوازعها وأفكارها؛ بحيث يمكن تلمّسه من خلال السّلوك الفعلي لها في بنية القصص. وعليه فإنّ القاصّة قد اتّخذت من شخوصها قناعًا؛ كي تعبّر عن موقفها ومشاعرها اتّجاه الواقع المعاش. ووظّفت تقنيّات أهمّها: تيار الوعي الذي يبرز صراعات الشخوص النّفسيّة، النّاتجة عن التّغيّرات الاجتماعيّة والتّقلّبات الفكريّة المرتبطة بالتّردّد والقلق أو النّضج والوعي.

كلمات مفتاحيّة: {البعد السيكولوجيّ، تيار الوعي، قصص، سامرة المومني، الشخصيّة}

Abstract:

The researcher paid attention to the psychological and psychological dimensions of the characters of Momani's stories in her collection "I called her Maryam"; Through it, the inner world of the personality, its impulses and ideas are revealed; So that it can be sensed through its actual behavior in the structure of the stories. Accordingly, the storyteller has taken a mask from her characters; To express her attitude and feelings towards the lived reality. The most important techniques were employed: the stream of awareness, which highlights the psychological struggles of people, resulting from social changes

[1] المؤلّف "المرسل": ميّادة أنور الصّعيدي.

and intellectual fluctuations associated with hesitation and anxiety or maturity and awareness.

Keywords: {Psychological dimension, stream of consciousness, stories, Samira Momani, personality}

تقديم:

ينظر لدراسة الشّخصيّة في العمل النثريّ من خلال أبعاد ثلاثة: الجسمانيّ، والاجتماعيّ، والسيكولوجي (النّفسيّ)؛ بحيث ينعكس البعدان الأوليان على البعد الثالث ويحدّدانه؛ إذ يعدّ هذا البعد ثمرةً لهما "في الاستعداد، والسّلوك، والرغبات، والآمال، والعزيمة، والفكر، وكفاية الشّخصيّة بالنّسبة لهدفها، ويتبع ذلك المزاج من انفعال وهدوء، ومن انطواء وانبساط وما وراءهما من عقدٍ نفسيّة"(**محمّد غنيمي هلال: 2007م، ص573**). ومن هنا فقد انصبّ اهتمام الدراسة الحاليّة على البعد النّفسيّ؛ إذ يمكن من خلاله الكشف عن عالم الشّخصيّة الداخليّ ونوازعها وأفكارها؛ لتتحوّل إلى شخصيةٍ محسوسةٍ من خلال ردود أفعالها ومواقفها؛ بحيث يمكن تلمّس البناء الدّاخلي للشّخصيّة من خلال السّلوك الفعلي لها في بنية النّص النثريّ؛ فما من سلوك أو فعل يأتيه الإنسان إلا وله دوافعٌ وبواعث. وعليه فإنّ الدراسة قد اتّكأت على المنهج النفسيّ الذي يقصد به في النقد "الآليات والأدوات الإجرائية التي يعتمدها النّاقد في فهم أسرار الأدب ودراسته، مرتكزًا على نظريات علم النّفس التي جاء بها سيغموند فرويد (Sigismund Freud) (ت. 1993م)، وتبعه فيها عدد من علماء النفس"(**صالح الدين ملفوف: 2010م، ص314**).

القاصّة. سامرة المومني أولت اهتمامًا للجانب النّفسيّ في بناء شخوص مجموعتها: "أسميتها مريم"؛ إذ أبرزت مشاعر أبطالها، وما يعتلج صدورهم من صراعاتٍ نفسيّةٍ، نتجت عن التّغيّرات الاجتماعيّة والتّقلّبات الفكريّة المرتبطة بالتّردّد والقلق أو النّضج والوعي.

أوّلًا: الجانب السيكولوجيّ للشخصيّة وأبعادها النّفسيّة

هي عشر قصص للقاصّة: "سامرة المومني" في مجموعتها "أسميتها مريم" صوّرت فيها الجانب السيكولوجيّ لشخوصها؛ وركّزت على الصّراع النّفسيّ لدواخلها، فتغلغلت فيها ونبشت ما في دواخلها من مشكلاتٍ نفسيّةٍ، بحيث تبرز أحاسيسها للمتلقي وتمكّنه من فهم الكثير من الجوانب النّفسيّة لمبدعتها؛ لأنّ التّحليل النّفسيّ للشخوص القصصيّة يعدّ الأساس الذي ينطلق منه هذا النوع من الدّراسات بهدف التّعرّف إلى شخصيّة المبدع، والكشف عن المكبوتات الداخليّة له.(**قطر الندى برناوي: 2017م، ص10–12**). فإنّ كانت الشّخصيّة الفنيّة مرسومةً بإتّقانٍ، تجعل النّصّ انعكاسًا للذّات الكاتبة، أو المشاركة في صنع القرار ووجهة

النّظر، بحيث يظهر جزءًا منها على السّطح ويختفي الجزء الأكبر منها تحت آكام السّطور؛ ليعاود الظهور أثناء عمليّة التّلقّي والتّأويل المرتبطين بخبرة القارئ المشارك في العمليّة الإبداعيّة.

لقد منحت قصص المومني كاتبتها مجالًا واسعًا تبدع فيه؛ بحيث استطاعت أن تطلق مكبوتات ذوات شخوصها ورغباتهم الدفينة في فضاء المجموعة؛ إذ يعدّ فضاءً خصبًا للتحرّر من قيود الواقع. وأطلقت العنان للتّعبير عن ذواتهم بحرّيّة. وهذا بحدّ ذاته يكشف الصّلة بين البنية القصصيّة والواقع، وبين مواقف الشّخوص وانفعالاتها اتّجاه القضايا المحيطة بها، وطبيعة الصّراع الواقع في أحداث القصص؛ والأمراض النّفسيّة الناتجة عن كمّ المصاعب التي واجهتها شخوص القصص، أو نتيجة ندمها على أخطاء ارتكبتها، أو نتيجة كونها ضحية ممارسات ظالمة مارستها شخوص أخرى بحقها.(**محمّد الأحمد، 2019م، ص620**) وعليه فإنّ المهم في العمل الأدبيّ لكاتب ما "هو ما يكشفه أدبه فعلًا من حركة الواقع وتعقيداته، ومدى صرخة الاحتجاج الفنيّة الصّادقة في هذا الأدب ضدّ واقع الاضّطهاد والظّلم والاستلاب والعلاقات غير الإنسانيّة، لا نوعيّة الشّخصيّات أو الموقف الظّاهر للأديب نفسه".(**محمّد دكروب، 1984م، ص880**).

لقد انتهجت المومني في بناء مجموعتها منهجًا خاصًّا، واتّكأت على البعد السّيكولوجيّ في الكشف عن مزاج شخوصها وميولهم، وإضاءة دواخلهم التي تعجّ بالقلق، والآلام، والحزن، والصّراع النّفسيّ، والكبت. تقول: **"تجافيه سبل السّلام منذ أن فتق الصّمت دواخله، ينغمس بعذاباتٍ ولجت روحه فتركته صلدًا، أظلم قبسا أضاء عالمه ذات نهار، تصدح بلابله العجفاء تبعث في تجاويف القهر وابلًا من الألم في غياهب الفرح"** (**المومني: 2021م، ص41**)؛ إذ بدا جليًّا حجم الصّمت المغموس بالعذاب، والقهر، والحزن. والذي يضمر حربًا متأجّجة، "ودلالة ذلك هو تواجد نوعٍ من الصدّ، وقدرٍ من الكبت والسّلبيّة والتّردّد، وشيءٍ من الرّغبة المتأجّجة التّي يقودها الحلم، وهاجس إعادة البناء والتّغيير حيث تستثمر (الشّخصيّة) كلّ جهودها إلى ذلك اليوم الذي تعلن فيه عن هذا الحلم، وتكشف عن أبعاده... ".(**فيدوح: 1996م، ص47**).

لقد جاءت شخوص المومني في قصصها منفعلةً لا فاعلة، متأزمةً مكبوتةً إلّا في مواقف بسيطة لو قيست بالأحداث العامّة، فقد دخلت أفعال شخوصها حيّز اللا فعل، ومردّ ذلك هي جحيميّة الحياة المعاشة، وعدم تلبية الزّمان والمكان لمتطلّبات الشّخصيّة وطموحاتها؛ لذلك كثيرًا ما نجد أنّ الحلم وهاجس التّذكّر قد رافق هذه الشّخصيّة، وهذا يؤكّد على عدم انسجامها، وتذمّرها، وارتدادها المستمر إلى الماضي، والتّطلّع لمستقبلٍ أفضل. وقد يدلّ على خوفها، وعدم قدرتها على اتّخاذ القرار أو المواجهة. تقول: **"فأفقت من رؤية عابرة.. نفضت نفسي من احتمالات الشك واليقين.. أشعر بالحرّ الشّديد تحت ملابسي الغامقة، رغم أنّنا في أواخر**

كانون الأول، تذكرت بدايتي الأولى... كان قلبي ولساني يرتعشان، لم أقو على الوقوف على المنصة، "غشاني زبد أبيض" لم أر كلماتي .. تلعثمت .. ابتلعت خوفي فجأة .. رأيت .. تطل .. شعرت .. تتسلل .. وتحيك".(المومني: 2021م، ص19).

ولعلّ ورود الأفعال الدّالة على الانفعال لا الفعل أو الحركة ومحاولات التّغيير في هذا المقطع؛ إشارةٌ على أنّ شخوص المومني تأبى المواجهة والتّحدّي، وتلتزم الانطواء والهروب؛ ممّا يشير إلى وجود قوّة قاهرة مانعة لذلك، فأغلب الظّنّ لديها أنّ المواجهة لا تجدي نفعًا، وفي العزلة راحةٌ وحفظٌ للذات من عناء المواجهة وجهل النّقاش.

ثانيًا: تقنيّات المومني لإبراز البُعد السيكولوجيّ لشخوصها

وظّفت المومني تقنيّات عديدة: كتيّار الوعي، والمنولوج الداخلي[1](**القاضي، وآخرون: 2010م، ص126، 432**)؛ إذ يُسمح من خلالها للقارئ الاطّلاع على الأفكار الحميميَّة التي تعتمل داخل الشخصيَّة، وفيه يغيب الترتيب المنطقي للأفكار، ويفسح المجال للتداعي الحرّ والتّكرار والحُلُم والاستباق، وتداخل الأزمنة؛ ممّا ساهم في غور دواخل شخوصها، والكشف عن محتواها النفسيّ، ولعلّ توظيف هذه التّقنيّة كشف عن حالة التّطابق الواقعة بين القاصّة وبطل/ ـة قصصها، وكثيرًا ما يلتبس الأمر على القارئ خصوصًا عندما تلجأ القاصّة إلى استخدام ضمير المتكلم، وكأنّها تعيش التّجربة وتدور الأحداث حولها. تقول: **"كم أبحث عن بشر خبأتهم في جوف أمنياتي ولم أجدهم، الآن كم أنا وحيد، كم أنا وحيد.. يئن من غير صوت... حروفًا ممزوجةً باللّذة والألم، كنت قلقًا وأنا أشارف على النهاية، فأحسست نفسي مفخخًا، وشظايا جسدي تناثرت.. وليلٌ طويلٌ داهم المدينة"(المومني: 2021م، ص17)**.إنّ تيار الوعي الذي اعتمدته القاصّة في بناء مجموعتها أتاح للشخوص أن تنبش ما في نفوسها من مشاعر ظلمٍ وحبٍ وقلقٍ وحزنٍ واغترابٍ وأملٍ وغيرها، وتكشف عن صراعاتها النّفسيّة، وتسرد أحلامها للقارئ.

تقنيّة تيار الوعي هي الأقرب لتعبير الشخوص بشكلٍ انسيابيّ ومتواصل عن أفكارهم ومشاعرهم؛ إذ إنّها هي التّقنيّة الأنسب للسّرد الذي برع في إبراز تجربة الشخصيّة الداخليّة، ناقلةً انفعالاتها وأحاسيسها وذكرياتها (**زيتون، 2002م، ص66**). تقول: **"فجأة أحسست بألمي.. جلبت الداء لنفسي.. أغمضت عيني، ووضعت أصابعي في أذنيّ؛ لأصمها عن الحقيقة الصارخة الواضحة بكلّ تفاصيلها.. كان ذلك قبل تسعة أعوام، وكأنه لم يكن إلا الأمس، وكأنك ماثلة أمامي الآن... وخيبة الظن تكسو ملامحك الناعمة،**

[1] تيار الوعي: من خلاله يُسمح للقارئ الاطّلاع على الأفكار الحميميَّة التي تعتمل داخل الشخصيَّة، وفيه يغيب الترتيب المنطقي للأفكار، ويفسح المجال للتداعي الحرّ والتّكرار والحُلُم والاستباق، وتداخل الأزمنة. والمنلوج الدّاخليّ: تخاطب الشّخصيَّة نفسها ممَّا يبرزُ أفكارها.

شربت قليلاً من الماء لعلّني أبتلع الغياب، وأبتلع آلامي كلها".(**المومني: 2021م، ص12**) يبدو هنا أنّ توظيف تيار الوعي قد ساعد الشّخوص في استدعاء ذكرياتها، وتداخل بنية القصص بين الماضي والحاضر دون رابط زمني، وهذا بحدّ ذاته يُشير إلى أنّ قصص المومني لم تخضع للتسلسل المنطقيّ لعوامل عديدة أهمها: توظيف تقنيّة تيار الوعي، والتّداخل الزّمانيّ، وتوظيف الحلم.

ثالثًا: البعد السيكولوجيّ قناعٌ تبثّ القاصّة خلفه آرائها وانفعالاتها اتّجاه الواقع

يمكن اعتبار راوية الأحداث هي القاصّة بحدّ ذاتها؛ لأنّها الصّوت الوحيد الذي انصهرت فيه أصوات الشّخوص القصصيّة، والتي لم يتعرّف القارئ إلى منطوقها إلّا من خلال هذا الصّوت؛ إذ ظلّ منذ البداية مع القرّاء يتأفّف لضجره من الأحداث، وقد يجهش بالبكاء، أو تُسمع قهقهاتٌ له ساخرة، ومن خلال صوت الرّاوية يستشعر بعذابات شخوص القصص، فتوضّح أفكارهم، وقد تقتنص عواطفهم فتبثّها وتضفي إليها من روحها، وهذا بحدّ ذاته يكشف عن ذاتها المبدعة، وعن هدفها واتّجاهها. وقد بدا هذا واضحًا حينما حملت القاصّة "الراوية" هموم النّساء، وتحدّثت بأصواتهنّ، وأبرزت معاناتهنّ في قصّتي: "فتنة وأربع نساء"، و "نور". تقول: **"يتمدّد وجعهنّ في قلبي، وتنكمش ملامحهنّ الصفراء في ملامحي السمراء، ويظهرن كتجاعيد نازحة تحت عيني، يسعين بحكاياتهنّ في طواف حزين حول زوايا فمي. أمسكُ بالكلمات تارة، وأتركها تنزلقُ من بين أصابعي تارة أخرى، تتوارى على هون في أفكاري اللزجة، الدبقة؛ التي إن علقت بها، لا أعرف لها فكاكا"**.(**المومني: 2021م، ص7**).

وعليه فإنّ المومني قد طرقت موضوعًا لا يُستهان به، ألا وهو "معاناة النّساء"؛ لذا فالعمل القصصيّ لديها "ليس مجرّد أحداثٍ تحرّك الشّخوص في اتجاهٍ أفقيٍّ من نقطةٍ لتوْصِلهم إلى نقطةٍ محدّدةٍ تبدو في النّهاية وكأنّها حتميّة، كما أنّه ليس مجرّد مجموعةٍ من الأحداث المتشابكة التّي تفرض على الإنسان سلوكًا معيّنًا، بل لا بدّ أن يكون وراء التّفاعل القويّ بين الأحداث والشّخوص في العمل القصصيّ كشفًا لموضوعٍ اجتماعيٍّ له قيمته، ينطلق من موقفٍ معاشٍ إلى رؤيةٍ مستقبليةٍ". (**إبراهيم، 198م، ص49**). هذا الموقف هو الذّي تعايشه القاصّة وتبلوره إلى عملٍ فنّيٍّ تصوغ من خلاله وجهة نظرها اتّجاه الحياة المعاصرة بجوانبها كافّة، ويتأتّى ذلك من خلال شخوص قصصها المحمّلة بأفكارها وإحساسها؛ لذا فهي تصوغها وفق طابعٍ مميّزٍ عن الأنماط البشريّة التّقليديّة؛ بحيث تكون ذات ثراءٍ دلاليٍّ، غنيّةً في جوانبها النّفسيّة. تقول: **"رأيتها بلباسٍ أسودَ وشعرٍ أسودَ يصل إلى قدميها، تذرع المكان ذهابًا وإيابًا دون أن تلتفت، جلست على حافة الطريق... تنتظر نهاية وجع وخذلان كبيرين، وخيانة أكبر، سمعتها تحادث نفسها بصوت مكلوم مشظى بالقهر"**.(**المومني:**

2021م، ص6). إنّ رسم الشّخصيّة في قصص المومني من النّاحية الجسديّة كان له اتّصالٌ وثيقٌ بالشّعور وبالواقع المعيش، لذا "تعتبر رسم الشّخصيّة في هذا التّكوين مسألةً غير سهلة؛ لأنّها تتفاعل فيها عواملٌ كثيرةٌ، منها ما يتّصل بالقاصّ نفسه، ومنها ما يتّصل بالواقع الاجتماعيّ والحضاريّ في بيئة الكاتب".(**المشوح، 2013م، ص26**). ويبدو أنّ قساوة الملامح "لباس أسود.."، وإهمال المظهر الخارجيّ للجسم ملمحًا جسديًّا، يشيء بالحالة الاجتماعيّة للشّخصيّة وتأزّمها النّفسيّ.

لم تكتفِ القاصّة بوصف ملامح الشّخصية الخارجيَّة، بل كشفت عن أفكارها ووعيها، وألقت الضّوء على أهم جوانبها؛ ولعلّ اهتمامها بهذه الجوانب يشيء باستبطانها للواقع، في حين تلجأ إلى كشف تأثيره على ذوات شخوصها، ويبدو أنّ ولوجها في ذواتهم يكشف تعاطفها معهم، وعدم تعاطفها مع الواقع المعيش؛ بحيث جاءت قصصها معبّرةً صادقةً، زاخرةً باللّمسات الفنّيّة التّي تهزّ مكامن شعور القارئ؛ لأنّ القاصّة تعرض الحياة من خلال نفسها المرهفة، وذاتها الحسّاسة.(**السيّد، 1988م، ص19**).

لقد عكست القاصّة رؤيتها الفنّيّة من خلال وصف الشّخصيّة النّفسيّ المدعوم بالوصف الخارجيّ؛ لتشير إلى طبيعة الصّراع القائم سواء أكان صراعًا نفسيًّا أم صراعًا اجتماعيًّا؛ ومن هنا فقد جاءت شخوص قصصها مبرّرةً ومنطقيّةً ومنسجمةً مع الواقع المعاش. وقد تتمرّد الشّخصيّة على مبدعتها فترفض أن تبقى انعكاسًا لرؤيتها الفنّيّة، وقد يسمع القارئ صوت أنينها أو توسّلاتها. يقول بطل قصّة "فواجع القدر": "**أحدّق.. متوسّلًا، يكفي أرجوك.. لا تسترسلي أرجوك، فأنا إن كنت شارد الذهن، فإنني أعود خاوي اليدين بعد رحلة تجوب الماضي المقيت.. أعلم أنّك عطشى للحقيقة، عطشى مثلي تمامًا، لكن اعذريني... اعذريني الآن، فلا يوجد لدي ما أروي ظمأك به أو أشبع فضولك، أو أكذب إحساسًا راودك تعلمين حقيقته**".(**المومني: 2021م، ص15**).

إنّ مثل هذه الشّخصيّة البالية المتذمّرة من تشويه القاصّة لها، هي نتاج مجموعة الجهد الرّوحيّ والعقليّ لمبدعتها، فجهدها هذا قد كشف "أدق رابطة أو علاقة معادلة في السّمات الخارجيّة والدّاخليّة للشخصيّة الإنسانيّة، ومن هذه العمليّة تنعكسُ ثقافة المكان كلّها، وذوقه وتجربته، وانطباعاته المختزنة ومعرفته ووجدانه، والجهد الكبير الذي يبذله في خلق الشّخصيّة وبنائها".(**بوبوف، 1976م، ص162**). هذا الإدراك الواعي لمآلات القصّ، وربطها بالإطار العامّ للحياة يولّد التّلذّذ الجماليّ، والاستئناس بالأحداث بعد خروجها عن المألوف.

ويبدو أنّ هذا التّماهي بين القاصّة والراوية، والصّراع بين القاصّة وأفكارها وأبطالها؛ هو ما أكسب نصّها نكهةً جماليّةً مميّزةً تجذب المتلقّي، فيغدو طرفًا له حضوره المميّز، تائهًا بين ما إن كانت القصّة حدثت مع القاصّة أم مع بطلها/ تها؟! محاولةً الإمساك بين البنيتين العميقة والسّطحيّة للسّرد، واستكناه دلالاتهما الفنيّة والجماليّة؛ لذا يرى فرويد أنّ "ما يتمّ كبته لا يخمد أو يموت، بل يستمرّ في وجوده الحيّ عند مستوى اللّاشعور، إنّه يظهر ويكشف عن نفسه خلال إسقاطه لنفسه في شكلٍ رمزيّ مميّز خاصّةً في الأحلام والأفعال اللاإراديّة والأمراض النّفسيّة، وكذلك في الإبداع الفنيّ". (**عبد الحميد، 1992م، ص52**). فالأفكار والمشاعر المكبوتة تناور الرقابة الصّارمة وتفلت منها وتتسلّل إلى الوعي في الأحلام.(**عامود، 2001م، ص268**).

رابعًا: القاسم المشترك لشخوص قصص المومني

إنّ القاسم المشترك والمميّز لشخوص قصص المومني هو إحساسها بالتّوتّر، والقلق، والاضطّراب، والخوف، والتّشاؤم، رغم اختلاف الأحداث وتنوّع المسبّبات؛ ممّا يومئ إلى أن ثمّة أزمةً إنسانيّةً في القصص تدفع شخوصها إلى عدم الشّعور بالطّمأنينة. تقول: "**أشعر بالوهن الشّديد، كأنّه وحشٌ مفترسٌ راح يأكل أطرافي ببطءٍ شديد، من أجل أن يبلغ متعته، رحت أجتر قدميّ ورأسي منحنٍ إلى الأسفل حيث بلغ في الألم منتهاه، سرت بألمٍ استوطن بنزقٍ في كهوف الذاكرة الباردة، وتربع يائسًا على عظامي الهشة**".(**المومني: 2021م، ص12**).

لقد وظّفت القاصّة التّشبيه في "كأنّه.."، والاستعارة المكنيّة في "ألمٍ استوطن كهوف الذاكرة"، والكناية في "ببطءٍ شديد، عظامي هشّة"؛ لتؤكّد على حجم الألم وقسوته قبالة وهن الشّخصيّة وقيلة حيلتها. وإلى جانب التّصوير وظّفت القاصّة ألفاظًا توحي بالسوداويّة، والقتامة، والخوف، حتّى أنّ القارئ يشعر بأنّه يتجرّع الموت في كلّ عبارة بل في كلّ لفظة من تراكيب مجموعتها. ومثال ذلك: "مبتورة، مؤجلة، النظرات، الهاربة، ناقص، تدنس، السوداء، الظنون، عارية، مقفولة ، مرصودة، لا يكاد يبصره، فقدان، خائفًا، العابثة بالألوان القاتمة..". وقد ترجع هذه السّوداويّة إلى مشاعر الحزن والضّيق والضّجر الذي تشعر به شخوص القصص. ولكنّ القارئ لقصص المومني يشعر بالصّراع الدّاخليّ لشخوصها على اختلاف أجناسهم ومواقعهم الاجتماعيّة؛ إذ طغى الصّراع على البنية القصصيّة فيها، ومردّ ذلك هو الشّعور المشترك الذّي يجمع الفئات المختلفة من المجتمع العربيّ بعد أحداثه الأخيرة، وصراعه مع السّلطات الطّاغية القامعة للحرّيات. تقول: "**لا خلاص مع جرح نازف، تتكدس فوقه أوراق مهترئة، وترقص حوله عيون حدقة يكسوها غبار الأرض، وتعبث به إياد ملطخة**

بالإثم والخطيئة، ينثرون حوله ورودا مسمومة، فيسيل الجرح قيحا أصفر مخلوطا بالدم، نتنًا كنواياهم تمامًا".(المومني: 2021م، ص22).

وعليه كان لا بدّ أن يغزو القلق كمرض من أمراض العصر ذوات الشّخوص، في خضم كلّ هذه المشاعر القاهرة المرهقة. ويتأتّى الشّعور بالقلق من المستقبل المبهم، والخوف من مآلات الأحداث، وإقامة المقارنات الدّائمة بين بساطة الماضي وصفائه وبين تعقّد الحاضر وإبهامه، علاوة على الشّعور بالعجز اتّجاه مجريات الأمور، والأحداث التّي تُرى عبر وسائل التّواصل الاجتماعيّ والإعلاميّ، كلّ ذلك يشيء إلى حالة الوحدة، و اللا شيء، وعدم الانسجام والانتماء، والكبت، والعجز. تقول: **"لماذا تغصّ ذاكرته بالذكريات السّوداء، طفولة بائسة لطفل وحيد، كشجرة وحيدة في أرض جرداء وسماء أوشكت أن تبلغ سن اليأس، يجلس في غرفته الخالية من أصوات تؤنس وحدته.."**. **(المومني: 2021م، ص28)**. ويرجع فرويد هذه المشاعر إلى فقد الحبّ الإحساس بالأمان، يقول: "فنحن لا نحمي أنفسنا من الألم أسوأ حماية ممكنة مثلما نحميها عندما نحب، ولا نعاني من تعاسة مطلقة لا شفاء لها مثلما نعاني حين نفقد الشخص الحبوب أو نفقد حبه".**(فرويد، 1996م، ص31)**.

لقد غلبت صفات الشّخصيّة المبهمة على شخوص قصص المومني، وهي الشّخصيّة التّي لا صفات محدّدةٍ لها. تقول: **"تلبسني البله والذعر!! ظل يحدقُ بي كأنه.. ممتلئ بشيء ما، يقضّ مضجعه الطويل، كأنه يعاني من بقايا ذاكرة متكدسة، كأنّها تشتعل وتستعر ببقايا أحياء وقوافل موتى.. الخوف ينفذ إلى أجزائي وأطرافي المتجمدة، كرجلٍ يمسكُ قطاعة ويريد بترها بدمٍ بارد... نظرت إلى أصابعي وقد شاخت وتجعدت".(المومني: 2021م، ص5)**؛ إذ ركّزت القاصّة على إحساس الشّخصيّة الدّاخليّ أكثر من مظهرها الخارجيّ المميّز لها؛ ممّا يشير إلى ذلك الحسّ الاغترابيّ الشّامل الذّي تشعر به.

ومن هنا فقد اعتمدت قصص المومني على التّحليل النّفسيّ ووصف الانفعالات والإكثار من أحلام اليقظة، والحديث الذّاتيّ وتحليل الأحداث، وقد تضفي أوصافًا على مرئيّاتها التي تتلوّن بنفسيّة الشّخصيّة، بحيث أنطقت بطل قصّتها وجعلته يقرّ بعدم الاتّزان، وبأنّه شخصيّة متأزّمةٌ غير سويّة، متناقضة مع حياتها، لا يفارقها شعور الاغتراب الذّاتيّ _حتّى وهي في أحضان الوطن أو في ريعان عمرها_ تقول: **"وقف مائلا قليلا بسنواته العشرين، يخطو خطوات متردّدة، بطيئة نحو المرآة، حدّق في الشخص الذي يراه، غابت ذاكرته المفلسة.. همس ببطء: أين أنا؟ وأين صورة وجهي؟ من هذا؟.. العينين الغائرتين، والوجنتين الشاحبتين.. من هذا العجوز الذي يطالعني؟ وضع كفّه الأيمن على تفاصيل وجهه، تحسّس الحقيقة..**

المتجلية أمامه، صرخ.. ملأ الأرض ألما: لاااااااا هذا ليس أنا.. ".(المومني: 2021م، ص39–40). وهنا أشارت القاصّة إلى فئة الشباب التي تمثّل بشكلٍ أو بآخرٍ محور العمل، على اعتبار أنّها أساس المجتمع **(عبّاس، 1983م، ص20)**. فكان لزامًا أن تنعكس أفكارها ومشاعرها على قصص المومني، والقارئ لقصص المومني يوقنُ أنّها تتّجه إلى الواقع _بادئ ذي بدء– في تصوير شخصيّاتها، فتسلّط الضّوء على النّواحي الغائمة التّي شكّلت الفئات المختلفة من المجتمع، إن لم يكن الشّباب المثقّف المأزوم على وجه التّحديد؛ لذا كثيرًا ما تلجأ إلى تصوير تفاعل أو انزواء هذه الفئة مع واقعها، وما تعايشه من همومٍ، وما تكابده من آلامٍ، ثمّ تنطلق إلى دواخل ذواتهم، فترصد مدى توتّرها النّفسيّ، وتصف الأجواء التّي كانت سببًا مباشرًا أو غير مباشرٍ وراء تأزّم أبطالها. تقول: **"سيجوب المواقع الإلكترونية بحثا عن عمل.. ينفث سيجارته.. يستنزف نظره.. يقضي عشر ساعات وهو يبحث عن غد مشرق، وهو يعرف حق المعرفة أن اليوم مشؤوم كالأمس.. شركات إلكترونية.. مقابلات افتراضية.. مسجات نصية..: حظا أوفر، يقصدون (حظا تعيسا)" (المومني: 2021م، ص40)**؛ بذا تكون قد وضعت القارئ في صورة الأحداث، وأشارت له على البواعث التّي ساهمت في تشكيل شخوصها، والدّوافع وراء تصرّفاتهم.

تلجأ الشّخصيّة في مجموعة المومني إلى الاستسلام حينما تشعر برتابة الحياة ومرارتها، وقد تحاول أن تنفتح على الحياة، لكنّها غالبًا ما تشيخ من وقع الأحداث المريرة، وتتقوّقع مرّةً أخرى في المسار الذّي رُسم لها، وتبقى رهينة صراعها النّفسيّ بين ماضٍ طافح بالذّكريات، ومستقبلٍ مبهم. تقول: **"تزاحمت أمام عيني الصور الأخيرة التي رأيتها.. ثوب أرقط يحوي نصوصا هاربة من زمن لقيط، ظل امرأة تكتسح بالسواد، تتجول في أروقة بيتي.. حقيبة سوداء مخبأة خلف الخزانة، سالم الرجل العجوز الذي أبصر قدري، وأخيرا صورة وعد حبيبتي التي تركتها بعد أن فقدت إحدى عينيها في حادث سير.. " (المومني: 2021م، ص47)**..

وهنا يتجلّى قلقها وصراعها مع الزّمن؛ وهذا بحدّ ذاته هو المحرّك العامّ والمعادل الموضوعيّ لإحساس شخوص قصص المومني وردود أفعالها، فالقلق "سمة عصر التّطوّر والحضارة، ويبدو معادلًا موضوعيًّا لهذا التّطوّر، ونتيجةً حتميّةً له، لهذا كلّه فقد تعدّدت النّماذج باعتبارها التّصوير الصّادق والموضوعيّ لإفرازات الحياة المتوتّرة والصّاخبة، التّي يحياها إنسان هذا العصر".**(يونس، 1958م، ص110)**. تقول: **"اتّكأت على وجعها بكامل ثقل خيباتها، قلبها الذي تقاذفته رياح الألم يهوي قلقا، يتبعثر مرارة من مسامات جلدها الواسعة، غور يتوسد أحشاءها الداكنة.. هلوسات ليلية وأحلام شيطانية تعقب تخمة أسئلة عطشى تغيب.. تومض..**

وترصد خلف شاطئ ظمآن إلى الحقيقة.. إلى الحقيقة فقط".(المومني: 2021م، ص33). ويبدو أنّ تصادم شخوص المومني بالواقع الخارجيّ مردّه الصّدام الدّاخليّ والصّراع النّفسيّ المتواصل للشّخصيّة مع ذاتها والآخر، إنّه الكبت، والحرمان، والإحباط، والقهر، والقلق.

خامسًا: الصّراع النّفسيّ "وخز الواقع ولذّة الحُلم"

هي عشر قصص للقاصّة: "سامرة المومني" في مجموعتها "أسميتها مريم" صوّرت فيها الجانب السيكولوجيّ لشخوصها؛ وركّزت على الصّراع النّفسيّ لدواخلها، ووقوعها بين عالمين متناقضين: الحلم والواقع، الأنا والآخر، العقل والعاطفة. تقول: **"حلمًا راوده.. ضجّ صوت هاتفه.. أقضّ هدوءه الرخيم.. باغت وحدته القاسية في صحراء ممتدة من القلب إلى القلب.. ضج بالحنين والخوف معا، وكأنّ قلبه على موعد مع غزوٍ ثقيل، حدس ما، أخبره أنه سيلج النهاية قريبًا، وأن تفاصيل ما بقى من الحكاية تحاك بوتيرةٍ سريعةٍ، ستلجّ العقد في سمّ الخياط، ويبتر القدر أرجل الكذب المقلوبة"(المومني: 2021م، ص39-13)**. ومن خلال الصّراع القائم في مجموعة المومني يمكن التعرّف على ثقافة المجتمع، تلك الثّقافة التي تنطوي على فاعليّة في البناء السّطحيّ والعميق للقصص؛ بما يجعل شخوص المومني نابضة بالتوتّر، ملتفة بتصوّرات مسوّغة ما تفتأ أن تنصهرَ في فوهةِ المقاومةِ أو الهروبِ؛ لذا فكثيرًا ما تلجأ إلى الحلم، الذي يكشف عن رغبات الشّخصيّة وميولها؛ لأنّ "جوهر الحلم هو حصول الإنسان لا شعوريًّا في الحلم على ما هو في تصوره في حالة الشعور".(**سيغموند،1982م، ص75**). ففيه تحقّق الشّخصيّة آمالها المفقودة، وتجاوز ضغوطات المجتمع والواقع الراهن الذي لا يقبل التّغيير، ويسير غالبًا خلاف ما تصبو إليه الشّخصيّة؛ ويبدو أنّ الحلم يحقّق نوعًا من التّوازن النّفسيّ، ويلائم طبيعة النّفس السيكولوجيّة. ويرى يونغ أن الحلم يعوض الحالمين عن نقائص شخصياتهم، وفقر واقعهم، والحصار المضروب حول حريتهم في الحركة والحياة".(**عبد الحميد، 1992، ص81-82**).

وعليه يُعرف الصّراع النّفسيّ بأنّه "تعارض الفرد بين قوّتين إحداهما دافعةٌ وأخرى مانعةٌ، وكثيرًا ما يجد الإنسان نفسه أنّه لا يستطيع أن يُشبع إحداهما، خوفًا من أن يؤدّي هذا الإشباع إلى الوقوف في صعوبات لا يرضى عنها المجتمع". (**الداهر، 2008م، ص132**). تقول: **"هزم سعادتي التي حلمت بها، وكبلني بعقد لن أستطيع أن أحلها، وجرني إلى نهاية حكاية لم أبلغ بدايتها بعد.. حاجزا منيعا قدر له أن يكون بيننا**

منذ الأزل. كانت فتاة الأمس نصرانية.. وأنا شاب مسلم" (**المزمني، 2021م، ص33**). إذن هو صراعٌ متأرجح بين مقصلة العقل ولذّة العاطفة؛ بحيث تكون الشّخصيّة غير قادرة على النّطق بالحكم، بحيث إن احتكمت للعقل ظلّت في حالة توتّرٍ وضيقٍ، وإن احتكمت للعاطفة وقعت تحت لائحة الاتّهام واللّفظ من مجتمعها المحافظ على أيدولوجيّته. تقول: **"مضيت أحتسي جرعات الألم والتذمر والتمرد، أقتات على الخيبات المهلكات والظلم الذي يعشعش في القلوب، شخصيات تعيش على هامش الحياة، الوقت يسرق رغباتهم، يتأبطون الشرف والخطيئة على حد سواء، يحلمون باثنتين: المرأة، وتحرير فلسطين المحتلة".**(**المزمني، 2021م، ص25**).

إنّ الصّراع النّفسيّ في مجموعة المومني يرجع إلى القلق الأساسيّ الذي تعاني منه الشّخوص بصورةٍ دائمةٍ ومستمرّة، نتيجة إحساسها بالضّعف والعجز عن مواجهة القوى القاهرة لها، سواء أكانت: طبيعيّة، أم اجتماعية، أم سلطويّة. (**عامود، 2001م،ص358**). تقول: **"المصيبة الأعظم أن تموت في كل يوم وأنت حي، تلفظك الحياة وتركلك في مسارات خاطئة، وتلزمك العودة وحيدا خاسرا.. الخاسر يبقى وحيدا، ومنبوذا كذلك.."** (**المزمني، 2021م، ص27**)؛ لذا فشخوص المجموعة مأزومون يعيشون صراعًا داخليًّا بين عواطفَ متناقضةٍ دفعتها إلى ردود أفعالٍ متباينةٍ تصل إلى حدّ الغرابة أحيانًا. ويبدو أنّ الصّراع النّفسيّ في المجموعة نتيجة لسببين؛ الأول: علاقة المظلوم بالظالم. والثّاني: علاقة الرجل بالمرأة. ويتعلّق السّبب الثّاني بضغط العادات الاجتماعيّة من جهةٍ، وبالظّلم الاجتماعيّ من جهةٍ أخرى (**الأحمد، 2019م، ص637**).

تقول: **"صفاء وثريا ونسرين، ليلى وفتنة، شخصيات.. هاجمن عزلتي بعنف ذات أيار.. قرأت ألمهن، فتحملت وزر نقل تفاصيلهن الموجعة، خيل إلي أنّهنّ يمسكن قلمي ويجرُرنني إلى ماض غابر.."** (**المزمني، 2021م، ص5**)؛ لذلك فقد كشفت الشّخوص من خلال تيار الوعي عن موقفها من بعض القضايا الاجتماعيّة، لا سيّما قضية المرأة.

الخاتمة:

لقد أولت الباحثة اهتمامًا بالبعد السّيكولوجيّ لشخوص قصص المومني في مجموعتها "أسميتها مريم"؛ إذ ارتأت الحديث عن دور القاصّة في رسمها، ومدى إبداعها في خلق الظّروف التّي شكّلتها، ذلك لأنّ الشّخوص عبارةٌ عن أقنعةٍ تروي القاصّة من ورائها الواقع المعاش؛ وعليه فقد خلقت القاصّة شخوص قصصيّة مميّزةً، ذات ملامح فنّيّةٍ خاصّةٍ، تعبّر عن أفكارها ومشاعرها، بحيث تخلد في الذّاكرة رغم مرور أزمنةٍ عليها. ولا بدّ أن

نعرف أنّ بناء الشّخصيّة القصصيّة يتطلّب خليطًا من الواقع والخيال (التصوير الفنّيّ)، ولو تخلّت القاصّة عن أحدهما؛ لما وصلت إلى حدّ الإقناع والتّأثير. ويبدو أنّ نجاح القاصّة يقاس بقدرتها على إقناع القارئ بأنّ شخوصها مستوحاةٌ من الواقع المعاش، وبأنّها كائناتٌ حيّةٌ تتأثر بأحداثه؛ بحيث يشعر القارئ بأنّها تشاطره آلامه وآماله، وقد تُمنح القاصّة وسام الإبداع إن استطاعت أن تجعل قارئ قصصها يردّد: "كيف عرفت القاصّة كلّ ذلك عنّي؟"، وهذا بحدّ ذاته يتطلّب وعيًا عميقًا من القاصّة للأحداث المحيطة بالقرّاء من النّواحي كلّها، بالإضافة إلى إدراكها التّام بالكيفيّة التّي ستقدّم بها عملها بحيث تُحقّق الإقناع والإمتاع معًا، وتحوّل متلقّي قصصها من قارئٍ إلى صانع قرارٍ.

تفصح مجموعة المومني عمّا يهدّد شخوصها نتيجة الفساد العامّ، والأمراض الاجتماعيّة المتفشية من ظلمٍ واستغلالٍ وفسادٍ إداريّ، ويتأرجح البعد السّيكولوجيّ بين الإحباط من الواقع الراهن، والنّدم على ما فات شخوصها في الماضي، وبين الأمل في المستقبل من خلال محاولة التّغيير نحو الأفضل، وتنشئة الجيل اللاحق وتوعيتهم لتجنّب هذه الأمراض؛ كي تتلاشى المشاعر السّلبيّة السّائدة.

ويمكن استخلاص نتيجة من ذلك كلّه هو ولع المومني بكشف الجوانب السّلبيّة والقاتمة في مجتمعها؛ لإحساسها بواقع الحياة واغتراب الإنسان عن عصره، وذلك لأنّها رصدت تحرّكات الواقع من خلال شخوصها وآرائها المتناثرة في أرجاء متنها القصصيّ، وهذا ما تجلّى بوضوح خلال تحليل شخصيّات قصص المومني، من خلال البناء الدّاخلي والدور السّرديّ لها.

الخطاب القصصي نصٌّ مفتوحٌ تتداخل فيه السّياقات الثقافيّة والاجتماعيّة والأيديولوجيّة، باعتباره الوحدة الصغرى للحياة التي نسجت رحمًا تشكّلت فيه الصّراعات المختلفة؛ وعليه يمكن للباحثين دراسة مجموعة "أسميتها مريم" للقاصّة: سامرة المومني، تحت عنوان "البنية اللغويّة في مجموعة "أسميتها مريم"، أو "تجلّيات الصّراع في مجموعة "أسميتها مريم".

المراجع:

1. ابراهيم، نبيلة: (1980م)، نقد الرواية من وجهة نظر الدّراسات اللّغويّة الحديثة، النّادي الأدبيّ_ الرّياض.
2. الأحمد، محمّد: (أغسطس2019م)، البعد النفسيّ في روايات بيض ونارجيلة لأحمد زياد محبك، مجلة البحوث العلمية الشرقية_ سركيار، مج11، ع2.
3. برناوي، قطر الندى: (2017م)، البعد السيكولوجي في رواية أحلام مدينة لفريدة إبراهيم "رسالة ماجستير"، جامعة محمّد خيضر بسكرة.
4. بوبوف، ألكسي: (1976م)، التكامل في العرض المسرحي، تر. شريف شاكر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق.

5. الداهر، حسن: (2008م)، سيكلوجية الإبداع والشخصيّة، دار الصفاء_ عمان، ط1.
6. دكروب، محمّد: (1984م)، الأدب الجديد والثّورة، دار الفارابي_ بيروت،ط2.
7. زيتون، لطيف: (2002م)، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر التوزيع_ لبنان، ط1.
8. السيّد، طلعت: (1988م)، القصّة القصيرة في المملكة العربيّة السّعوديّة بين الرّومانسيّة والواقعيّة، مطبوعات نادي الطّائف الأدبيّ، ط1.
9. سيغموند، فرويد: (1982م)، مساهمة في تاريخ حركة التحليل النفسي، تر. جورج طرابيشي، دار الطليعة_ بيروت، ط2.
10. عامود، بدر الدين: (2001م)، علم النفس في القرن العشرين، اتحاد الكتاب العرب- دمشق، ط1.
11. عبّاس، نصر محمّد: (1983م)، البناء الفنّي في القصّة السّعوديّة المعاصرة، مطبوعات دار العلوم_ الرّيّاض، ط1.
12. عبد الحميد، شاكر: (1992م)، الأسس النفسية للإبداع الأدبي، الهيئة المصريّة العامة للكتاب_ القاهرة.
13. فرويد، سيغموند: (1996م)، قلق في الحضارة، تر.. جورج طرابيشي، دار الطليعة_ بيروت.
14. فيدوح، عبد القادر: (1996م)، شعريّة القصّ، منتديات مجلة الابتسامة.
15. القاضي، محمَّد، وآخرون: (2010م)، معجم السرديَّات، دار محمد علي للنشر-تونس، ط1.
16. المشوح، محمّد بن صالح: (2013م)، البناء الفنّيّ للقصّة القصيرة عند عبد العزيز الصقعبي ، كلّيّة اللّغة العربيّة والدّراسات الاجتماعيّة، جامعة القصيم_ السّعوديّة.
17. ملفوف، صالح الدين: (9/ مايو/ 2010م)، نظريات علم النفس في الرواية الحديثة رواية السراب أنموذجًا، مجلة الآداب واللغات في جامعة قاصدي مرباح وازايو.
18. هلال، محمّد غنيمي: (2007م)، النقد الأدبيّ، دار النّهضة_ مصر، ط7.
19. يونس، عبد الحميد: (1958م)، الأسس الفنّيّة للنّقد الأدبيّ، دار المعرفة_ القاهرة، ط1.